الجرح والتعديل في تراجم النحاة واللغويين
(دراسة في توثيق رواية اللغة والنحو)

د. عبد الرزاق احمد محمود الحربي

إن التراث العلمي الذي وصل إلينا قسم منه قد احتوى على عدد كبير من كتب تراجم النحـــاة فقد ذكرت المصادر لنا أسماء بعضها .

ومن اوائل الذين ألفوا في أخبار النحاة محمد بن يزيد المبرد ، واحمد بن يحيى ثعلب ومحمد ابن عبد الملك وغيرهم ، وقد ذكر السيوطي عدداً من الكتب التي استقى منها كتابه (بغية الوعاة) وهي كتب كثيرة بعضها وصل إلينا وبعضها الآخر لم يصل إلينا ، فذكر أنَّ كتابه كان خلاصة لأكثر مـــن ثلاث مئة مجلد[١] .

والقارئ في كتب تراجم النحاة واللغوين تستوقفه ظاهرة مهمة : هي التأثر الشديد بعلم الحديث وطرائق البحث التي ابتكرها علماؤه لتمحيص الحديث ، وبيان صحيحه من ضعيفه ، والتنبيـــه علـــى الموضوعات، ويظهر التأثير واضحاً في أمور منها :

١ــ تقسيم النحاة واللغويين إلى طبقات متعددة .

٢ــ بيان مراتب المترجمين والمفاضلة بينهم .

٣ــ بيان مصادر الرواية والمعلومات التي أخذ منها المؤلف لتكون معلوماته موثقة .

٤ــ بيان تاريخ الوفاة في أغلب الأحيان ، وتاريخ الوفاة له أهمية كبيرة في معرفة المعاصرة والتلقي والسبق وغير ذلك .

٥ــ ذكر الجرح والتعديل . والجرح والتعديل لهما أهمية كبيرة عند علماء الحديث ومـــؤلفي كتب تراجم النحاة واللغويين من بعدهم ، وسوف نتحدث عن ذلك بشئ من التفصيل .

---

١ - انظر في بغية الوعاة ص ٢ــ٣ .

التمهيد

الجرح: من معانيه الكسب واجترح اكتسب[١] ، وذكر الزمخشري من مجاز هذه الكلمة : (جرحه بلسانه: سَبّه ، وجرحوه بأنياب وأضراس إذا شتموه وعابوه وبئس ما جرحت يداك ، واجترحت يداك أي عملتا وأثرتا ، وهو مستعار من تأثير الجارح ومنه جوارح الإنسان وهي عوامله من يديه ورجليه، وجوارح الصيد ، وجرح القاضي الشاهد ، ويقال للمشهود عليه هل معك جُرْحةٌ ؟ وهي ما تجرح به الشهادة)[٢] .

وقد وردت في القرآن الكريم مشتقات للجذر (جرح) ، فجاء في سورة المائدة قوله تعالى :﴿ **قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ**﴾[٣] .

وقوله تعالى : ﴿**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ**﴾[٤] .

والجروح في هذه الآية بمعنى إصابة البدن وإسالة الدم[٥] .

وقوله تعالى : ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ**﴾[٦] معناه كسبتم[٧] .

وأما قوله تعالى : ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾[٨] فبمعنى اكتسبوا أيضا ، إذ إنه (لا يساوي من اجترح السيئات المؤمن في الحياة ولا في الممات)[٩] .

فالجرح : هو (وصف العلماء لراوي الحديث بما يدل على فوات شروط قبول روايته أي فوات شروط العدالة والضبط أو كليهما في ما يقتضي رد روايته وعدم قبولها)[١٠] .

أما التعديل : وهو مأخوذ من العدل ، (والرجل العدل : المقنع في الشهادة)[١١] ، ورجل عدل أي عادل

---

١ – انظر في الصحاح مادة (جرح) .

٢ – اساس البلاغة مادة (جرح) ، وانظر في كتاب اصلاحات الفنون ص١٧٢ .

٣ – سورة المائدة :٤ .

٤ – سورة المائدة :٤٥ .

٥ – انظر معاني (جرح في المفردات في غريب القرآن مادة (جرح)) .

٦ – سورة الأنعام : ٦٠ .

٧ – انظر في تفسير الجلالين ص ١٧٨ .

٨ – سورة الجاثية :٢١ .

٩ – جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩٠/٢٥ .

١٠ – علوم الحديث ص ٧٥ . وانظر في ألفاظ الجرح والتعديل عند ابي حاتم الرازي ص ٢٥٧ ــ٣٠١ .

١١ – المجمل في اللغة مادة (عدل) .

مبالغ في عدله[١] .

قال الزمخشري : (وعدلته من طريقه وعدلت الدابة إلى طريقها عطفتها ، وهذا الطريق يعدل إلى مكان كذا ، وفي حديث عمر ﷺ : الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا مِلْتُ عدلوني كما يُعدّل السهم)[٢].

فالتعديل : (وصف العلماء لراوي الحديث بما يدل على عدالته وضبطه وبالتالي إلى قبول روايته)[٣].

ويظهر أنَّ العلماء قد أخذوا المعنى اللغوي لكلتا الكلمتين فوضعوهما في معنى اصطلاحي فقالوا : علم الجرح والتعديل : (علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة وعن مراتب تلك الألفاظ)[٤] .

وحث القرآن الكريم على التثبت من الأخبار والروايات بقوله تعالى : ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾[٥] وفي هذه الآية دليل على مشروعية الجرح فلا يعد الجرح من باب الغيبة[٦] .

كما ورد عن الرسول ﷺ ما يؤكد مشروعية الجرح في الحديث الذي رواه البخاري : (إن رجلا استأذن على النبيﷺ ، فلما رآه قال : بئس أخو العشيرة ، وبئس ابن العشيرة .....)[٧] .

ولقد بذل العلماء في هذا العلم جهودا كبيرة كانت نتيجتها تأليف أعداد كبيرة من الكتب يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أصناف :[٨] .

١ــ كتب الضعفاء :ومن أجمع الكتب في الضعفاء كتاب ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي (ت٧٤٨هـ) ، وكتاب لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢ هـ) إضافة إلى كتب سبقتهما أو أعقبتهما في هذا الموضوع .

٢ــ كتب الثقات : وألف فيه محمد بن أحمد بن حيان البستي (ت ٣٥٤ هـ) .

٣ــ كتب جمعت بين الثقات والضعفاء ومن أبرزها كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد [٩] (ت٢٣ هـ) ، وكتاب الطبقات لخليفة بن خياط [١٠] .

---

١ – انظر في شرح الفصيح لأبن الجبان ص ١٩٢ وكذلك شرح الفصيح لأبن هشام اللخمي ص ١١٥ .

٢ – اساس البلاغة مادة (عدل) .

٣ – علوم الحديث،ص ٧٥ .

٤ – كشف الظنون ص ٥٨٢ .

٥ – سورة الحجرات :٦ .

٦ – انظر في علوم الحديث ص ٧٥ .

٧ – صحيح البخاري ٨/٣ .

٨ – انظر في كشف الظنون ص ٥٨٢ .وبحوث في تاريخ السنة ص ٩٠ ــ١٢٠.

٩ – طبع عدة مرات .

١٠ – طبع بتحقيق د.أكرم العمري .

المقدمة

ومن أهم الكتب في الجرح والتعديل كتاب عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي الذي يحمل عنوان (الجرح والتعديل) .

وحينما ننظر في كتب تراجم النحاة واللغويين نجد أثر علم الجرح والتعديل واضحا فيها ، فقد رتبوا النحاة واللغويين والرواة إلى طبقات[١] اقتداء بطبقات المحدثين ، واعتمدوا في ترتيبهم هذا أسس الجرح والتعديل التي اتبعت عند علماء الحديث حيث جعلوا الصدق والضبط والعلم وغير ذلك من الأسس المهمة في ترتيب النحاة واللغويين والرواة طبقات فظهرت عند الذين ترجموا لهم أسس ومعايير مختلفة راموا خلالها الوصول إلى ميزان يوضح معلومات العلماء من حيث الثقة بها أو عدم الثقة بها .

ولن أتناول في هذا البحث كل كتب تراجم النحاة واللغويين لأنها كثيرة ومتعددة ولكني سوف أقتصر على نماذج من كتب :-

١ــ مراتب النحويين لأبي الطيب عبد الواحد اللغوي (ت٣٥١ هـ) .

٢ــ أخبار النحويين البصريين لأبي سعيد السيرافي (ت٣٦٨ هـ) .

٣ــ طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت٣٧٩ هـ) .

٤ــ نزهة الالباء في طبقات الأدباء لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت٥٧٧هـ).

٥ــ طبقات النحاة واللغويين لتقي الدين ابن قاضي شَهْبة (ت٨٥١ هـ) .

٦ــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي (ت٩١١ هـ) .

---

١ - انظر في مصادر الشعر الجاهلي ص ٤٧٧ .

المبحث الأول
مقاييس التعديل

١. مقاييس التعديل :

لقد تعددت مقاييس التعديل عند الذين ترجموا للنحاة واللغويين حتى إنها تجاوزت مقاييس علماء الحديث ، ولكن بقيت مع هذا التعدد والكثرة مقاييس أهل الحديث هي الأساس في المفاضلة بين العلماء.ويمكننا القول إن مقاييس التعديل عند من ترجم للنحاة واللغويين هي ذكر صفات التعديل : ونقصد بذلك أن يذكر للمترجم صفات يتصف بها ترفع من درجته وتجعل منه رجلاً يؤخذ منه العلم وهو أهل لأن يكون مصدرا له ، وأن هذه الصفات لا تكون على درجة واحدة ولكنها تختلف من شخص إلى آخر ، لذلك فإنه من الممكن ترتيب العلماء الذين يتصفون بصفة واحدة إلى عدة مراتب ، بحسب شدة تمسكهم بتلك الصفة فمثلا هناك الصادق الصدوق ، وهناك الصادق فقط ومن هذه الصفات:

أـ الثقة والصدق والأمانة :-

وهي من ابرز صفات التعديل عند علماء الحديث ، وهي كذلك عند من ترجم للنحاة واللغويين إذ لا يعتد بالنحوي أو اللغوي إذا لم يكن ثقة في عمله ومن أمثلة ذلك : ما قاله أبو الطيب اللغوي عن النضر بن شميل (ت٢٣١ هـ) : (وهو ثقة صاحب غريب وشعر)[١] ، وقوله عن محمد بن سلام الجمحي(ت٢٣١ هـ) : (وهو ثقة جليل)[٢] ، وما قاله عن القاسم بن سلام (ت٢٢٤ هـ) : (وكان مع هذا ثقة ورعا...)[٣] ، وقال الزبيدي عن القاسم بن معن (ت....) : (وكان عفيفا صارما في قضائه فقيه البلد ، ثقة جامعا للعلوم)[٤] وقال أحمد بن يحيى ثعلب : (وكان ثقة صدوقاً حافظاً للغة عالماً بالمعاني)[٥] ، وقال أبو البركات الأنباري عن أبي زيد الأنصاري (ت٢١٥ هـ) : (وكان ثقة أهل البصرة)[٦] ، وقال ابن القاضي شهبة عن أبي بكر الواسطي (من علماء المئة السادسة) : (وهو ثقة

---

١ – مراتب النحويين ص ٦٦ .

٢ – المصدر نفسه ص ٦٧ .

٣ – المصدر نفسه ص ٩٣ .

٤ – طبقات النحويين ١٤٦ .

٥ – المصدر نفسه ١٥٥ .

٦ – نزهة الألباء ١٠١ .

فاضل)[١] وقال السيوطي عن علي بن محمد الأسدي المعروف بابن الكوفي (ت٣٤٨ هـ) انه كان : (ثقة صادقاً في الرواية)[٢] .

وقد تنفرد صفة الصدق لبعض المترجمين مثل قول السيرافي (ت٣٦٨ هـ) عن الأصمعي (ت٢١٦هـ) : (وكان الأصمعي صدوقاً في الحديث)[٣] ، وقول السيوطي في ترجمة عبد المهيمن ابن محمد الحضرمي (ت٧٤٩ هـ) : (واستمر موصوفاً بالنزاهة والصدق ...)[٤].

ب ـ الدين والورع والزهد :-

وهذه الصفة يقصد بها بيان مقدار تمسك المترجم له بالدين ، وكونه ورعاً أو زاهداً فمثلاً يقول أبو الطيب اللغوي عن الفراء (كان الفراء متورعاً متديناً على قبة فيه وتعظم ...)[٥] ويقول السيرافي عن أبي عمر الجرمي : (وكان ذا دين وإخاء وورع)[٦] ، وقال ابن قاضي شهبة عن ابن سجمان (محمد بن الشريش ت ٦٥٠ هـ) :(وكان من أكابر الفضلاء الصلحاء الورعين ... ذا زهد وتعبد)[٧]، وقال عن ابن الشراط الأنصاري (محمد بن أحمد ت٦١٦ هـ) : (كان مقرئاً محققاً ضابطاً ورعاً زاهداً)[٨] ، ووصف السيوطي ابن بركات الأنباري :(بانه كان زاهداً ورعاً)[٩] ، وقال عبد الواحد بن محمد المالقي (ت ٧٠٥ هـ) : كان (بعيد المدى منقطع القرين في الدين المتين والصلاح وسكون النفس ، ولين الجانب ، والتواضع ، وحسن الخلق)[١٠] وقال عن عمر ابن قديد الحنفي (ت٨٥٠ هـ): كان منقطعاً عن أبناء الدنيا طارحاً للتكليف متقشفاً في ملبسه)[١١].

---

١ – طبقات النحاة ص ٧٦ .

٢ – بغية الوعاة ص ٣٥٠ .

٣ – أخبار النحويين ص٤٧ ، وانظر في نزهة الألباء ص٩٢ و١٠٠ .

٤ – بغية الوعاة ص ٣١٥ .

٥ – مراتب النحويين ٨٦ .

٦ – اخبار النحويين ص ٥٦ .

٧ – طبقات النحاة ص ٥٦ .

٨ – طبقات النحاة ص ٥٦ .

٩ – المصدر نفسه ص ٥٨ .

١٠ – انظر في بغية الوعاة ص ٣١٧ .

١١ – المصدر نفسه ص ٣٦٣ .

ت ــ البراعة في العلم والقياس :-

وهذه من صفات التعديل في تراجم النحاة ، ويذكرها المترجمون لكي يبينوا أن المترجم له ممن يوثق بعلمه وقياسه .

ومن ذلك قول أبي الطيب اللغوي : (وكان الخليل أعلم الناس وأذكاهم ...)[١] وقال عن قطرب (محمد بن المستنير ت ٢٠٦ هـ) : (وكان حافظاً للغة كثير النوادر والغريب)[٢] وقال السيرافي عن أبي إسحاق (ت١١٧ هـ) : (إن ابن أبي إسحاق كان أعد تجريداً للقياس)[٣] وقال عن يونس بن حبيب (١٨٢ هـ) : (وأما يونس بن حبيب : فانه بارع في النحو)[٤] وذكر الزبيدي في ترجمة أبي بكر بن دريد (ت ٣٢١ هـ) أنَّه : (كان أعلم الناس في زمانه باللغة والشعر وأيام العرب وأنسابها)[٥] ، وقال عن محمد بن زياد الأعرابي (ت٢٣١ هـ) : (وكان ناسباً نحوياً كثير السماع... وكان أعلم بالإعراب ...)[٦] ، وقال في محمد بن المعروف بالعقعق (ت...) بأنه كان (صاحب نحو ولغة مع علم بالجدل ونظر فيه)[٧] واستعمله السيوطي أيضا في تراجم كثير من النحاة واللغويين[٨] .

ث ــ الحفظ والعلم بالقرآن الكريم وقراءته :-

إنَّ لحفظ القرآن الكريم وقراءته مكانة مهمة في تعديل النحاة واللغويين ولهذا نجد الذين كتبوا تراجم النحويين واللغويين ينبهون على كون المترجم له ، حافظاً أو قارئاً للقرآن أو على أنَّه على علمٍ به .

قال أبو الطيب اللغوي : (قال أبو حاتم : فإذا فسرت حروف القرآن المختلف منها أو حكيت عن العرب شيئاً فإنما أحكيه عن الثقات منهم)[٩] . وهذا القول يؤكد الاهتمام بالعلوم التي لها صلة بالقرآن الكريم وإنّ هذه المعلومات إنّما يحرص أهل اللغة على نقلها عن الثقات ، وقال السيرافي : (فأمَّا أبو عمرو بن العلاء فهو من الأعلام في القرآن)[١٠] .

---

١ – مراتب النحويين ص ٢٨ .

٢– مراتب النحويين ص٦٧ . وانظر في مواضع اخرى من المصدر نفسه عّدل فيها عدداً من العلماء ص٦٨ و ٧٥ و ٧٨.

٣ – أخبار النحويين ص٢٠ .

٤ – المصدر نفسه ص ٢٧ .

٥– طبقات النحويين ص ٢١ وانظر ما قاله ابن قاضي شهبة حيث عده رأساً في العربية ــطبقات النحاة ص٨٣ .

٦ – المصدر نفسه ص٢١٣ .

٧ – المصدر نفسه ص٢٦١ .

٨ – انظر في بغية الوعاة ص ٣٠٠ و٣٠١ و٣١١ و٣١٣ .

٩ – مراتب النحويين ص ٩٣ .

١٠ – أخبار النحويين ص٢٢ .

وقال الزبيدي في ترجمة أبي عبيد القاسم بن سلام بأنه من العلماء بإعراب القرآن[١] . ونقل ابن القاضي شهبة الشيئ نفسه في ترجمته لعدد من العلماء حيث يذكر أنه كان عالماً بالقرآن أو قارئاً له أو على علم بالقراءات[٢] .

ويذكر السيوطي في بعض التراجم أنَّه كان عالماً بالقرآن والقراءات[٣] .

٥ـ وهناك صفات أخرى ذكرها من ترجم للنحاة واللغويين وهي تفيد التعديل مثل : جمال الخلق[٤] ، والعلم بالغريب[٥] ، وجمع الكتب[٦] ، والكرم والسخاء[٧] ، وحسن الخط[٨] ،ورأس الطبقة في اللغة[٩] وغيرها من الصفات .

٢ـ تعديل المترجم له :

إن بعض العلماء قد يذكر صفات تقدح بعلماء آخرين وهذا القدح قد يكون غير عادل لذا دأب بعض الذين قاموا بكتابة تراجم النحاة واللغويين بالذب عمن اتهموا بغير وجه مثل قول أبي الطيب اللغوي في تعديله للأصمعي والدفاع عنه : (فأما ما يحكيه العوام وسقاط الناس من نوادر الأعراب ، ويقولون هذا مما افتعله الأصمعي ويحكون : أنَّ رجلاً رأى عبد الرحمن ابن أخيه فقال ما فعل عمك فقال : قاعد في الشمس يكذب على الأعراب ، فهذا باطل ما خلق الله منه شيئاً ونعوذ بالله من معرة جهل قائليه ، وسقوط الخائضين فيه وكيف يقول ذلك عبد الرحمن ولولا عمه لم يكن شيئاً ، وكيف يكذب عمه وهو لا يروى شيئاً إلاّ عنه)[١٠]وهنا أبو الطيب اللغوي يحاول تعديل الأصمعي ويقدم الدليل على عدم صحة جرح الأصمعي .

والتعديل أخذ عند أبي الطيب صورة اخرى وذلك من خلال المفاضلة بين العلماء وبيان مكان الفاضل منهما قوله : (وانتهى علم الكوفيين إلى يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت ، وأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب الشيباني مولى بني شيبان ، وكانا ثقتين أمينين ... (يعقوب) أحسن الرجلين تأليفاًوكان ثعلب أعلمهما بالنحو وكان يعقوب يضعف عنه)[١١] .

---

١ – انظر في طبقات النحويين ص ٢٣٩ و ٢٩٣ و٣٠٦ .

٢ – انظر في طبقات النحاة ص ٥٨ و٦١و٦٥و٧٧ .

٣ – انظر في بغية الوعاة ص ٣٠٣ و٣١٣ .

٤ – انظر في مراتب النحويين ص ٤٣ وبغية الوعاة ص ٣٠٠ .

٥ – انظر في أخبار النحويين ص ٥٣ .

٦ – انظر المصدر نفسه ص ٧١ .

٧ – انظر في طبقات النحاة ص ٨٥ وبغية الوعاة ص ٣٠٩ .

٨ – انظر في بغية الوعاة ص ٣٢٦ و٣٤٠ .

٩ – انظر في المصدر نفسه ص ٣٦٨ .

١٠ – مراتب النحويين ص ٤٩ .

١١ – المصدر نفسه ص ٩٥ .

المبحث الثاني
مقاييس الجرح

لقد أفرد علماء الجرح والتعديل للجرح الفاظاً خاصة يستعملونها في كتبهم[١] وقد سار على منوالهم الذين ترجموا للنحاة واللغويين في ذكرهم ما يجرح النحوي أو اللغوي وذلك كثير في كتبهم ونذكر جانباً:

١ــ الكــذب والوضــع :

ويأتي في بداية مقاييس الجرح بالكذب والوضع وذلك يعني أنَّ الموصوف بهما أو بأحــدهما ممن لا يوثق بأقواله ومروياته ولقد اهتمَّ علماء الحديث كثيراً بهذا المقياس حيث اســتطاعوا معرفــة الوضاعين والكذابين من رواة الحديث ووضعوا منهجاً للبحث عن صحة المعلومات ودقتها أصبح في ما بعد مناراً يهتدي به العلماء في تدقيق المعلومات والتثبت منها ، والذي يظهر أنَّ الــذين ترجمــوا للنحاة واللغويين أخذوا هذا المقياس فتراهم يصفون بعض من يترجمون له بأنه كذّاب .

ومن الأمثلة على ذلك ما قاله أبو الطيب اللغوي عن خلف الأحمر : (وكــان أعلــم النــاس بالشعر ، وكان شاعراً ، ووضع على شعراء عبد القيس شعراً كثيراً ...)[٢] ويقول ايضاً (وقال أبــو عثمان الجاحظ : ذكر الأصمعي ، وأبو عبيدة وأبو زيد عن يونس إنه قال : إني لأعجب كيــف أخــذ الناس عن حماد وهو يلحن ويكسر الشعر ويكذب ويصحف)[٣] ، وقال ايضاً : (كان يقــال إن ابــن الكلبي يُزَرّف في حديثه أي يكذب فيه ويَتَزَيّد)[٤] .

٢ــ عــدم الثقــة وعــدم الأمانــة :-

الثقة والأمانة من السمات المهمة التي يجب أنْ يتحلى بها العلماء وإذا ما انتفت الثقة والأمانة عن عالم أو راوٍ فإن ذلك يعني نعته بما يجرحه ، فيصبح في نظر أهــل العلــم لا يعتــد بعلمــه ولا بروايته.

وقد يأخذ هذا المقياس عدة صور منها :

أــ عدم الأمانة في النقل ، ونسبة الأخبار والنصوص إلى غير أهلها ومن ذلك ما ذكره أبــو الطيــب اللغوي بحق حماد الراوية : (كان بالكوفة جماعة من رواة الشعر مثل حماد الرواية وغيره ، وكانوا يضعون الشعر ويتقنون المصنوع منه وينسبونه إلى غير أهله قال حدثني سعيد بن هــريم البرجمــي قال:حدثني من أثق به أنَّه كان عند حماد حتى جاء أعرابي فأنشد قصيدة لم تعرف ولم يدر لمن هــي

---

١ - انظر في ألفاظ الجرح والتعديل عند أبي حاتم الرازي ص٢٥٧ ــ ٣٠١ .

٢ - مراتب النحويين ص ٤٦ــ ٤٧ .

٣ - المصدر نفسه ص٧٣ .

٤ - المصدر نفسه ص٧١ .

فقال حماد : اكتبوها ، فلما كتبوها وقام الأعرابي قال : لمن ترون أن نجعلها فقالوا أقوالا فقال حماد:اجعلوها لطرفة)[١] ، وقال عنه ايضا : (وحماد الراوية مع ذلك عند البصريين غير ثقة ولا مأمون)[٢] .

ب ــ النقل عمن ليس بثقة وهذا يقلل من شأن الخبر والرواية المقولة ومن ذلك ما قاله أبو الطيب : (إلاَّ أنَّ ابن قتيبة خُلّط عليه بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها من الثقات ، وكان يتسرع في أشياء لا يقوم بها)[٣] .

ت ــ الإغارة على كتب العلماء وإسقاط أسمائهم عنها وادعائها ومن أمثلة ذلك ما رواه ابن قاضي شهبة عن المرزباني : (كان محمد بن حبيب (ت ٢٥٠ هـ) غير على كتب الناس فيدعيها لنفسه ويسقط أسماءهم ، فمن ذلك الكتاب الذي ألفه إسماعيل بن عبد الله في أخبار معاوية)[٤] .

ث ــ الشك في أمانة بعض العلماء والرواة ، منها ما ذكر أبو البركات الأنباري في شكه برواية خلف الأحمر فيقول : (كان يقول الشعر فيجيد وربما نحله المتقدمون فلا يتميز من شعرهم لمشاكلة كلامه كلامهم) [٥] .

وقد يجعلون عدم ذكر الأسانيد مَثْلبة يشك من خلالها بالأخبار المروية ومن ذلك ما ذكره السيرافي عن المبرد : (وسمعت نفطويه (إبراهيم بن عرفة النحوي ت٣٢٣ هـ) يقول ما رأيت أحفظ الأخبار بغير أسانيد منه ومن ابي العباس بن فرات)[٦] .

أو قد يكون الشك بذكر قلة العلم مثل قول ابي الطيب اللغوي عن أبي عبيد القاسم بن سلام : (وقد أخذت عليه مواضع في كتابه الغريب المنصف وكان ناقص العلم بالإعراب)[٧]

٣ــ وهناك صفات كثيرة أخرى تجرح المترجم لهم مثل ذكر كونه متعصباً[٨] ، او قد يوصف بأنه بذئ اللسان أو إدامة شرب النبيذ أو إتيان الغلمان[٩] أو الابتلاء بحب شاب[١٠] .أو كان ضجراً[١١].

---

١ -مراتب النحويين ص ٧٢ .

٢ - المصدر نفسه ص٧٢ .

٣ - مراتب النحويين ص ٨٥ .

٤ - طبقات النحاة ص ٨١ .

٥ - نزهة الألباء ص٥٣ والنظر في مراتب النحويين ص٧٥ــ٧٦ .

٦ - أخبار النحويين ص ٩٣ .

٧ - مراتب النحويين ص ٩٣ .

٨ - انظر في المصدر نفسه ص ٩٤ .

٩ - انظر في بغية الوعاة ص ٣٣٦ ــ٣٦٣ .

١٠ - انظر في بغية الوعاة ص ٣٣٦ .

١١ - انظر في بغية الوعاة ص ٣٠٤ .

وغير ذلك من الصفات التي قد تنزل ببعض الناس إلى الحضيض فيجعل الاعتماد على كتبهم ومعلوماتهم أو مروياتهم من الامور التي تشوبها الشوائب .

ولا يفوتني هنا أذكر أنَّ كثيراً من المقاييس قد ينفرد بها مؤلف معين وهناك مقاييس أخرى يتفقون عليها ، وربما دخل العامل الشخصي في جرح النحاة واللغويين وتعديلهم فيؤدي ذلك إلى إصدار أحكام غير عادلة لذا لابد من التحري في جرح وتعديل .

الخلاصة

ومن كل ما تقدم نخلص إلى أن علم الجرح والتعديل الذي نشأ لغربلة أحاديث الرسول ﷺ وفرز الصحيح والحسن والضعيف عن الموضوع قد أثّر أثراً كبيراً في مؤلفات كثيرة ومنها المؤلفات التي ألفها أصحابها لتكون سجلات لتراجم النحاة واللغويين ، وأنَّ هذا التأثر قد كان سببه البحث عن الدقة في الأخبار والمرويات والشواهد اللغوية والنحوية ومعرفة قدر أصحابها .

إن الدارس لهذه المؤلفات يجد أنَّ تأثير علوم الحديث فيها كبيراً فهو لا يقتصر كما ذكرنا على الجرح والتعديل فحسب بل تعدى ذلك إلى طرائق الرواية وأساليبها وأسانيدها وأنواعها ، ويستطيع المتتبع للأخبار التي وردت في هذه المؤلفات تصنيفها إلى أخبار متواترة وأخرى مشهورة وثالثة غريبة ورابعة آحاد وهكذا فإن مجال البحث في هذه الكتب ما زال واسعاً .

مظان البحث

١ــ أخبار النحويين البصريين ، الحسن بن عبد الله السيرافي ، تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي مصر سنة ١٩٥٥ م .

٢ــ أساس البلاغة ، محمود بن عمر الزمخشري دار صادر بيروت .

٣ــ ألفاظ الجرح والتعديل عند ابي حاتم الرازي ، رسالة ماجستير قدمها زياد محمد رشيد العاني إلى كلية الشريعة جامعة بغداد سنة ١٩٩٠ م .

٤ــ بحوث في تاريخ السنة د.اكرم العمري ، طبع دار طيبة الرياض .

٥ــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، السيوطي ، ط١ مصر سنة ١٣٢٦ هـ .

٦ــ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري الطبعة الأولى ، مصر .

٧ــ شرح الفصيح ، ابن هشام اللخمي ، تحقيق د.مهدي عبيد جاسم سنة ١٩٨٨ م بغداد .

٨ــ شرح الفصيح في اللغة لابي منصور الجبان تحقيق د. عبد الجبار القزاز بغداد سنة ١٩٩١ م .

٩ــ الطبقات ، خليفة بن خياط تحقيق د.اكرم العمري ، الرياض سنة ١٩٨٢ .

١٠ــ طبقات النحاة واللغويين ، تقي الدين ابن قاضي شهبة تحقيق د.محسن غياض النجف ١٩٧٤ .

١١ــ طبقات النحويين واللغويين لابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم مصر سنة ١٩٥٤ .

١٢ــ علوم الحديث د.عبد الكريم زيدان و د.عبد القهار داود بغداد الطبعة الثانية .

١٣ــ علوم الحديث ونصوص الأثر د.رشدي عليان و د.قحطان الدوري بغداد سنة ١٩٨٠ .

١٤ــ كشاف اصطلاحات الفنون محمد علي الفارقي التهانوي تحقيق لطفي عبد البدين المؤسسة العربية سنة ١٩٦٣ م .

١٥ــ المجمل في اللغة احمد بن فارس تحقيق زهير عبد المحسن سلطان بيروت .

١٦ــ مراتب النحويين لابي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم مصر.